كاهـن الإنجيـل

مجلة شربل كانون الأول ٢٠٠٩

الأخت باسمة الخوري

يخبئ لنا الإنجيل مفاجأة صغيرة اكتشفها القليل من بيننا فقط: إنه لا يسمّي الكاهن "كاهنًا" بل "شيخًا"! فالكتاب المقدس في العهد الجديد، وقد كُتِب باليونانية، أعطى الكهنة اسم "*presbuteroi* " وليس "*hiereus* " (الانسان المقدّس)، وقد استعمله العهد القديم اليوناني للكهنة اليهود والوثنيين أيضًا، بصفتهم الوسطاء بين الله (أو الآلهة) والبشر. أما "الشيخ"، فليس وسيطًا بل مسؤولاً عن الجماعة التي هو منها. إنه المسؤول عن إحيائها بروح الحكمة التي يستوحيها من كلمة الله بالذات. وكأن في الإنجيل دعوة صريحة لعدم "تقديس" صورة الكاهن، أي فصله عن الناس، وإلا ظلّ المسيحيون على مستوى العهد القديم ليس إلاّ.

المسيح هو الكاهن الأوحد، هو وحده "عظيم الكهنة" كما يعلن كاتب الرسالة إلى العبرانيين. لم يكن من سلالة لاوي التي كان يحق لرجالها وحدهم أن يكونوا كهنة، بل كان من عائلة يهوذا التي لا يمكن أن يكون من بينهم من يدخل الكهنوت. ولم يكن يسوع أبدًا من حزب الصدوقيين، وهو حزب الكهنة الذين طالما عادوه واتهموه وشاركوا في الحكم عليه بالموت. بالمفهوم القديم للكهنوت، كان يسوع "علمانيًا"!

كهنوت العهد الجديد لا يمتّ إذًا إلى كهنوت العهد القديم، الوراثي المسؤول عن تقديم الذبائح في هيكل أورشليم، بأية صلة. ولكن إن كانت الرسالة إلى العبرانيين تؤكّد بأن يسوع لا علاقة له بالكهنوت اللاوي، فهي تنسبه إلى كهنوت ملكيصادق (٧: ١٤-١٧)، وتعلن أنه كهنوت أبدي.

كلّنا كهنة

ألغى يسوع إذًا الكهنوت الأول وأرسى كهنوتًا ثانيًا (عب ١٠: ٩)، جعل من خلاله كل شعب الله "مملكة كهنوتية"، فصار كل إنسان معمّد كاهنًا يستطيع أن يقدّم "ذبائح روحية مقدسة مرضية لله" على ما يقول القديسين بطرس (١ بط ٢: ٥) وبولس (رو ١٢: ١). هؤلاء المعمّدون "الكهنة" مدعوون ليؤلّفوا جسدًا واحدًا، هو جسد المسيح، يعيشون من غذاء واحد هو جسد المسيح ودمه. أما "الشيوخ" المسؤولون عن الجماعة فسلطتهم هي سلطة الراعي الذي "يبذل نفسه في سبيل خرافه" على مثال يسوع الراعي الصالح (يو ١٠)، فيكونون مثالاً أمام قطيعهم بالتفاني.

سلطة هؤلاء "الشيوخ" الذين نسمّيهم نحن "كهنة" هي الخدمة في سبيل "بناء جسد المسيح ونموّه" ليصل إلى "ملء قامة المسيح" (أف ٤: ١٢-١٦)، وارتباطه الدائم بيسوع-الرأس (كو ٢: ١٩). إن دور الكاهن-الشيخ هو العمل على أن يكون المسيح حاضرًا لجماعته بالصلاة والأسرار والخدمة الدائمة.

الكاهن "أبونا"

طالما حذّر الإنجيل من أن نسمّي أحدًا "أبًا" أو "معلّمًا"، "لأنكم جميعكم أخوة" (مت ٢٣: ٨)، لكن بولس يعتبر نفسه أبًا للجماعات التي أسّسها (١ كو ٤: ١٥) يشعر تجاه أولادها شعور الأم تجاه أولادها (غل ٤: ١٥)، فكيف يكون هذا؟ وهل في الإنجيل تناقضات؟

لا! فما قصده يسوع هو أن المطلوب من المسيحيين هو التحرّر من كل ما يجعلهم قاصرين، مستعبَدين لغيرهم. الله وحده هو مثال الأب والمعلّم. وهذا ما فهمه القديس بولس الذي طالما دعا إلى الاقتداء به كما هو يقتدي بالمسيح، والذي طالما قال "لست أنا أحيا بل المسيح يحيا بي"، ولذلك هو قادر على اعتبار نفسه أيضًا لإخوته "الذين ولدهم بالمسيح". إنه صورة الكاهن الأب والأم، يعمل ليكون أولاده أحرارًا، ناضجين واعين لدورهم في "مملكة الكهنة" ملكوت الله على هذه الأرض.

الكاهن رسول الله

لا يجب أن نتفاجأ عندما نعرف أن كهنة العهد الجديد هم أولاً الرسل. كان كهنوت العهد الجديد القديم مرتبطًا بالهيكل، مكان حضور الله لتقديم الذبائح. مع يسوع القائم من الموت صار العالم كله، وبالتالي كل إنسان مكان حضور الله، بهذا المعنى قال القديس بولس "أنتم هيكل الله" (١ كو ٣: ١٧)، وأكّد القديس يوحنا أن أورشليم الجديدة ليس فيها هيكلاً (رؤ ٢١: ٢٢). كان هذا هو هدف الرسل الذين أرسلهن يسوع "كما أرسله الآب". أسّسوا جماعات محليّة حيثما حلّوا؛ حملوا يسوع في كل مكان وكانوا "أيقونة" يسوع (صورته) الرأس والمثال. الكاهن-الرسول هو مرآة يعكس صورة يسوع وكون "كلاًّ للكل" (١ كو ٩: ٢٢)، ليربح الآخرين للمسيح ويجعل منهم رسلاً، جماعة منفتحة تحمل يسوع للعالم كله.

الكاهن قربان ومقرِّب

على مثال يسوع، يقرِّب الكاهن ذبيحة القربان، ويقرِّب معها ذاته. هو الذي "يبذل نفسه في سبيل أحبّائه"، على ما فعل معلّمه وربّه؟ ذبيحة الكاهن لذاته هي مسيرة فصحية نحو الآب. كل حياته مسيرة خروج من هذا العالم، مع أنه

في قلب هذا العالم، ليقود أولاده معه و"يخرجهم جميعًا إلى الآب" (يو ١٠: ٤). طريق هذا الراعي–الكاهن هي بذل ذاته، لأنه يحبّ إلى الغاية على مثال يسوع الطريق.

كاهن الإنجيل هو إذًا صورة يسوع الملك–الراعي وليس الملك المتسلّط؛ هو صورة كاهن الهيكل الذي يقرِّب ذاته ذبيحة فداء عن شعبه؛ وهو صورة النبي الذي يفيض الروح القدس على كل جسد.

نحن المسيحيون كهنة الإنجيل؟ نعم ولكن بفضل الكهنة الذين يقدّمون ذبيحة الرب، ذبيحة الشكران في القداس، والذين من خلال الأسرار يجعلون منا أولاد ملكوت الله.

هم ضعفاء خاطئون؟ نعم، ولكنهم آنية خزفية يحملون في ذواتهم كنزًا (٢كو ٤: ٧). ننتقدهم؟ بل نحن ننتقد الوعاء الخزفي، فهلاّ اندهشنا أمام الكنز الذي يحملونه؟

اختار الله الوسائل الضعيفة (١كو ١: ٢٧)، اختار الضعفاء، لكن "القوة من الله وليس منا" (١كو ٤: ٧). إن الكاهن ليس قويًا بذاته بل بالنعمة والدعوة. بضعفه، يحيا الكاهن بالمسيح حياة شكران، يزرع بالضعف ويحصد بالقوة (١كو ١٥: ٤٣): حياته قداس يحوّله الى ذبيحة شكر!